

## الفصل الرابع

### الاتجاه الوطنى والقومى

Obeyikanda.com

## (الوطن) في شعري (الفيل):

"الوطن في الأدب العربي موضوع طريف لأنه ليس من أغراض الشعر العربي الثابتة المعروفة التي يتداولها الشعراء في كل عصر، ولكنه من الموضوعات الخاصة التي تنفعل بها نفس شاعر بعينه لسبب أو لآخر فينبعث شعره يشدو بالوطن ويتغنى بأرضه وسمائه".<sup>(١)</sup>

ويس الفيل في قصائده الوطنية الكثيرة مقيم بحب وطنه كما يبدو من قصيدته "نقوش على حبة القلب"<sup>(٢)</sup>:

عشقتك قبل النقاء العيون	عيونا بها الحب لا ينضب
عشقتك نهراً وشمساً وظلاً	يجئ بي العمر أم يذهب
عشقتك ..والعشق بعض الجنون	إذا ما اعترانى فلا مهرب
عشتك يا أيها المستبد	فأين الفكاك لمن يعضب

ولعل رفاعة الطهطاوي بمقالاته وقصائده في حب الوطن أول من كتب عن الوطنية في العصر الحديث، كما يعد "أسبق شعراء العصر الحديث إلى التغنى بمجد مصر والدعوة إلى حبها وفداؤها، ثم جاء البارودي فأسهم في السخط على الحالة السياسية والمالية في عصر إسماعيل وتوفيق.. وكذلك أسهم عبداللّه النديم في الثورة العرابية بخطبه ومقالاته وشعره".<sup>(٣)</sup> وجاء بعد ذلك شوقي وحافظ فكانت لهما قصائد كثيرة تفيض بالعاطفة الوطنية.

١- د. محمد مصطفى هداره: مقالات في النقد الأدبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ٢٠٧.  
٢- المجلة العربية عدد ١٦٩ سبتمبر ١٩٩١ ص ١٦.  
٣- د. أحمد محمد الحوفي: وطنية شوقي -دراسة أدبية تاريخية مقارنة، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م، ١٤٩، ١٥٠.

## التغنى بحب الوطن :

شعريس الفيل فى الوطن هو نوع من الغزل والعشق ، فلم تكن المرأة وحدها هى موضوع الغزل عنده ، وإنما كان الوطن محوراً آخر للحب والهيام فالوطن هو حبه الأثير وحوله كانت قصائد كثيرة ؛ ولذلك ظلت هموم الوطن وقضيته من القضايا الأثيرة التى شغلته عبر مجموعاتة الشعرية .

وقد التفت إلى هذه الظاهرة عند الشاعر الدكتور محمد حسن عبد الله فى الدراسة المصاحبة التى كتبها لديوان الميلاد وحكايات الخريف حيث يقول :  
"وإذا كانت المرأة المحبوبة محوراً أساسيا، فإنها ليست المحور الوحيد ، الوطن محور يوازى ، بل يتفوق ، وقد تكون المرأة وطننا للشاعر ، وقد استخدم هذا التعبير بالفعل ، كما قد يكون الوطن موضوعا للغزل والعشق ورغبة الفناء فيه". (١)

وحب يس الفيل لوطنه لا نسمعه ضجيجا أو هتافا ، وإنما نحسه يتسلل إلى أعماقنا ويمتلك مشاعرنا من خلال تعبير رقيق وصور موحية ، فهو حب له طابع خاص سرى فى شرايينه وامتزج بكيانه حتى صار شيئا واحدا ، دخل مع الماء والهوى والطعام حتى اتخذ مكانه بين اللحم والعظم (٢):

يا أيها الوطن المسافر فى شرايينى

أتعرف ما تريد؟

لك زهرة الصبار

فى الكبد الموله

مئذنه

لك هيمنه

١ - أنظر الدراسة المصاحبة لديوان الميلاد وحكايات الخريف د.محمد حسن عبدالله ، ص ١٣٤

٢ - أغنية بلا وطن ، ص ١٠٠٩ .

كما أنه لا يساوم في حبه وعشقه للوطن :

أنا لا أفايض بالذى تعطى  
فحسبك أن تكون لى الوطن  
وأنا بحضنك أستقيم شجيرة  
تهب العصفير الندى  
والظل

تمنح ما تريد لمن تريد  
يا أيها الوطن المدل  
أعدتى

وأعدت شقشقة الصباح إلى فمى

أرأيتى

لنا لا أراك

فأنت بين العظم واللحم استكنت

سكنت ما لم يسكن

لنا لا أراك

دما تقطر بالحنان إلى الوريد

لكنما نبضى يؤكد

أننى بك استعيد العمر

أولد فى رحابك من جديد (١)

وقد اختلط الشعر الوطنى عند يس الفيل بشعر الغزل فالتقت المرأة  
والوطن فى كثير من الصور والسياقات ، وترددت صورة المحبويه الوطن فى كثير

١- فازت هذه التصبيبة بجائزة عبدالعزيز سعود البابطين لأحسن قصيدة على مستوى الوطن العربى  
عام ١٩٩١.

من القصائد فيخاطبه الشاعر خطاب المحبويه ويذوب فيه هيماً وعذاباً يبدو  
في قوله (١):

من أجلك :

أبحر

أتغرب

من أجلك :

فوق حراب اللعنة

أتقرب

من أجلك :

أمضع جذع الصبار

أبتلع الحجر المسنون

أطوى صفحات الرغبة

أحرق كل بقايا النغم المطحون

من أجلك يا قدرى :

أحبو،

أكبو،

أخبو،

وقد يوهمنا هذا الأسلوب الغزل أن الشاعر يخاطب امرأة ، ولكن "لا يمكن  
أن تكون قشرة الغزل التي قد تغلف بعض الصور حائلاً أو حاجزاً عن فهم المراد  
فلا توجد -بعد- المرأة التي يقول لها الشاعر :

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

من أجل أنت :

يهون القهر

يهون الجلد

يهون القيد المجنون

من أجل عيونك يا قنرى:

العمر يهون (١)

فهو فى سبيل من يحب يستعذب الشقاء ، ويتغنى بالألم ويعانى ما يعانى  
ولا يعبأ ، لأنه لا يرى غير وطنه ، وتلك خصوصية المحبة ، وهذه السمات من  
خصائص المذهب الرومانتيكى الذى يبدو فيه دائما المعاناة واللوعة والألم (٢):

من أجلك :

يسقط هذا العالم

تسقط كل دعاوى الزيف

بتعرى كل قناع مجدول من سحب الخوف

ينفجر الحيف

براكيننا ،

ينفجر الحيف

يتلوى طفلى .. لا أعبأ

يتساقط لحمى ... لا أعبأ

لا أجد القوت ... ولا أعبأ

فى الظل لموت ... ولا أعبأ

من كنت ومن سوف أكون ،

١- د. عبدالله سرور : الميلاد وحكايات الخريف دراسة فى شعر يس النليل ، ص ٩٥.

٢ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٩٣ ، ٩٤.

ينهار وجودى المطحون  
يعصف بى خوف  
ينقض على بلول البرد سعيير الصيف  
لا أعبأ  
من أجلك:  
يا أكرم طيف  
يا قدر الله المكنون  
يا أظهر لفظ

تسقه من خلف القضبان عيون

ومصر التى توله الشاعر فى حبها ، وهام بها ، ووفى لها ، لم تحسن جزاءه -  
كما يرى- على نحو ما يكون الجزاء الحسن ، فقد رأى من هو أقل منه موهبة  
ومكانة يرتقى أعلى المناصب ، فهو من أجل هذا يعذب فى رفق ، ويبكى بأنين  
مكتوم ويحزن بقلب يتنزى ألما ، ويقطر أسى وحسرة<sup>(١)</sup> :

..وحتى أنت

حتى أنت

يا من عشتها نفماً

وسرت على دروب الشوك

بين عواصف الأيام

أناجيتها

أجمل عرشها المنحوت من قدرى

أرش العطر فى لهب الهجير على محفتها

١- الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١٠٧، ١٠٨.

وأزرع أغنيات الحب فى أعتى صحاريها  
وأغمس ريشتى فى القلب  
أكتب ألف أغنية لعينيها  
وأنسى فى زحام الشوق  
أنسى أننى أحيا بقايا عالم مخدوع  
وأنسى الجوع والحرمان والقسوة  
وأنسى أن ما أرنو إليه سراب  
وأن مدينة الأحلام  
حكايا قصر كالمسحور  
خراب يحتفى بخراب  
وأنك غير ما أملت  
نهر مالح .. وضباب

وقد تعترى المحب بعض المواقف ، فيعنف من يحب ويقرعه تقرعاً جارحاً  
وفى حافظ إبراهيم ير مثال على ذلك ، فبرغم وطنيته الصادقة يقول (١):  
فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب  
ويقول (٢):  
وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب  
فهذا اللوم والتفريح لا ينفى الوطنية عن الشاعر المحب لوطنه .

١ - ديوان حافظ إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ط ٣ ، ص ٢٥٦ .  
٢ - السابق ، ص ٣٣٩ .  
٣ - توقيعات حادة على النأى القديم ، ص ١٣٢ .

ومعظم ما لـ "يس الفيل" من شعر فى الوطن هولون من الوجد الصوفى ، يقدمه  
ترانيم محبة وتراتيل موحدة لوطن يتوحد فيه برغم ما يعانىه من تمزق وشتات  
وانظر لهذا المفارقة لتدرك صحة ما أقول (٢):

.. حتى لو أنك لم تطعمنى غير الجوع  
حتى لو أنك لا تكسونى غير العرى  
..حتى لو أنك لا تسقنى غير المر  
..حتى لو أنك لم تمنحنى نبض أمان

إلا لنى أحيا فيك

وفيك لموت

وأحبك عريانا - أبدا -

جوعانا

لا أجد للقوت

وحب الوطن عند يس الفيل لا يأخذ الصورة المثالية الخالية من أية عيوب  
أو سلبيات كما تقدم، ولكنه صورة واقعية يرى فيه الإيجابيات فيتغنى بها ، أما  
السلبيات فيشير إليها لمحاولة التخير .

ولما كان الشاعر ابن بيئة ريفية عانت طويلاً من أسباب التخلف والقهر  
نراه يعيش فى إحساس الكادحين من أبناء الريف ، يعبر عن وجدانهم ، وينقل لنا  
صوراً درامية بالغة التأثير عن معاناة الفلاح وشقائه ، وعن الصراع المرير بين الفلاح  
والأفات التى تعتدى على زرعه . وهذه الصور نجدها فى قصيدة "الميلاد وحكايات  
الخریف" التى استخدم فيها الأسلوب الدرامى ، كما أجاد استخدام الرمز مما منح  
قصيدته نضجا ويعد بها عن السطحية والتقرير (١):

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٦٩ ، ٩٧ .

.. وجاءت بي ..

وكان الليل موالا خريفيا

وكان الفجر طفلا بعد لم يولد

وكان أبى

ينقب فى تراب القرية السمراء عن ثوب

وعن كسره

وعن قطره

وكان أبى

يحب الأرض

يعشقها

يقطر - صابراً - فى جوفها عمره

وكان يقول :

رغم للجرح

إن الأرض ما هانت

ولا خانت

ولا كفت عن الإنجاب

فهذه القصيدة تعد بحق قصيدة القرية المصرية ؛ لأنها تكشف عن أفراحها وأحزانها ومآسيها، من خلال تصوير حى يعبر عن تجربة صادقة عاشها الشاعر وعاشها ، وعن الفلاح الذى ظل أمدا طويلا يعانى من مظاهر الفساد والفقير والجوع والحرمان . وإليك هذا الجزء من القصيدة الذى يصور الفلاح وهو يزرع ليحصد غيره ، ويجوع ليشبع سواه (١):

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

وقالت لى :

بذرنا القمح

من دمع العيون

ومن عرق الجبين

ومن دم الشريان ..رويناه

وقبل حصاده مر الجراد عليه

- ذات مساء -

أطاح بفرحة الدفء الربيعيه

أحال الحلم كابوسا يشوه حولنا الأشياء

وقالت لى :

زرعنا القطن أعواما وأعواما

ولكننا :

برغم عيوننا الصقرية النظرات

لم نجمع سوى حسره

ولم نصنع حشايا منه

لم نغزل ثيابا تستر العوره

وقالت لى :

كرهنا أن يمر العيد بالقربه

لأن العيد فى ميراثنا لحم وأثواب

وخيز يملأ الأفواه

وأحذية

وحلوى للصغار

وكل ما هو ليس بالإمكان

والشاعر فى هذه القصيدة يقدم صورة واقعية حية لنواحي النقص والفساد فى المجتمع ، وينتصر للطبقة العاملة الكادحة التى أهملت مطالبها وحقوقها ، ثم يعطينا الأمل فى الإصلاح والخلاص فيقول (١):

وأخطو فى الطريق  
على الحراب أنوس  
لكن الجراد المرتمى كتلا يحاورنى  
يكاد على الطريق الصعب يطوينى  
وأشعر أن روح أبى تعاتبنى  
وأن يديه فوق يدي تقوينى  
وأخطو للخلاص بكل ما فى القلب من أمل ،  
ومن إيمان  
والمح قريتى العنزاء تتبعنى ،  
تقبل رمحى للمفروس فى قلب النجى المسعور  
تجدد عزمها  
تتقض صاعقة على الظلمات

ويس الفيل عندما يتحدث عن بعض السلبيات إنما يقصد بذلك أن يزرع فى النفوس شعوراً حاداً بالنقمة على هذه السلبيات لتهب مطالبة بالتغيير ولو كان ذلك عن طريق القوة (٢):

فأمضى حاملاً سيفى ومحراثى  
أشق الأرض  
أجعل حقلنا للمعتدى قبره  
وأوفى عن أبى نذره

١ - السابق ، ص ١٠٢ .

٢ - السابق ، ص ١٠٣ .

فهذه القصيدة عبارة "عن صراع بين قوى غير متكافئة ، وفيها مشاهد من القرية لا يستطيع أن يعبر عنها ويصورها إلا شاعر ريفي ذو حساسية ، وفيها خوف من المستقبل وعليه ، وفيها إثارة لمسائل شتى فهي قصيدة معاصرة من حيث المضمون والشكل" (١).

"والشاعر ينبه أمته إلى ضرورة الحفاظ على الأرض والالتزام بتلك الفئة من الملحونين ، والشاعر بذلك يكون عين أمته ، ووعى شعبه ، وضمير وطنه ، إذ الشعر ليس انفعالات يقذف بها صدر يغلى فحسب ، ولكنه رؤية وكشف وحدث وبصيرة واستشراف" (٢).

مواثيق وطنية :

عاش "يس الفيل" هموم وطنه والتحم بها ، فالوطنية عنده "عطاء وخصوبة ونكران ذات ، وليست مكسباً مادياً ولا جاهاً اجتماعياً" (٣). فالحب عطاء ، ولما كانت الوطنية من الحب فالشاعر في سبيل وطنه لا يكف عن العطاء : (٤)

عطاء هو الحب يا من تحب	فأين العطاء لمن يطلب
ثم يقول مخاطباً وطنه : (٥)	
تألق عطاء وته في دماي	فمنك الخالص الذي أرقب
وجنتي بكل اجتياح السنين	وكن في وريدي لظي يسكب
أجئك بفيض من العشق يعلو	على من أساءوا ومن أننبوا

١ - د. عبدالله سرور : الميلاد وحكايات الخريف دراسة في شعر يس النبل ، ص ١١٤ .

٢ - المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٣ - السابق ، ص ٩٧ .

٤ - المجلة العربية ، ص ١٦ .

٥ - السابق ، ص ١٦ .

ومن مقتضيات الوطنية أن يتابع الشاعر الأحداث التي تمر بها بلاده  
ويسجلها في شعره ، إذ الشعر تعبير وتصوير حتى لما يقع من أحداث ، فنراه في  
قصيدة " أغنية للعيد للأخضر " يتحدث عن ذكرى ثورة يوليو: (١)

وشهدت يا يوليو انطلاقة أمة      ورأيت شيطان الضياع تدمر  
واليوم في وهج الشموع الأثرى      أن الفداء بأرضنا يتكرر  
انظر .. فهذا العيد رمز ملامح      خفيت .. ومثلك بالملاحم يفخر

فهذه القصيدة كتبت في يوليو ١٩٦٤ ، ومن الواضح أنها ذات نهج  
سياسي ، حيث كان التوجه والاهتمام والآمال المعقودة ، ومن هنا نراه يخاطب  
جمال عبدالناصر على أنه رمز للنهضة ، وباعت للمجد ، وقائد للتحرير وهو الثائر  
الذي أشعل نيران الثورة في أرجاء الوطن العربي : (٢)

يا باعث الشرق إن الشرق مرتقب      فناده ينطلق من نومه الأزل  
أشرق في النيل يوما فاخفت ظلم      ومادت الأرض تحت الشك والنجل  
وقلت قولة حق أخرست أمما      عاشت على الوهم والتضليل والجدل  
وثرث ثورتك البيضاء فاندلعت      بين الشعوب وصارت مضرب المثل

والإشادة بعبد الناصر والتغنى بأمجاده كانت نتيجة عدة أحداث أهمها  
تأميم قناة السويس ، والعدوان الثلاثي ، والوحدة العربية بين مصر وسوريا ، هذه  
الأحداث جعلت عبدالناصر زعيما قوميا رأيت فيه الشعوب العربية الأمل  
والخلاص ، وهذه الفترة كانت فترة الازدهار والزهو في حكم عبدالناصر إلى أن بدأ  
نجمه في الأفول بعد هزيمة ١٩٦٧م.

١ - أغنية بلا وطن ، ص ٥٠ .  
٢ - أغنية بلا وطن ، ص ٥٢ .

ويشارك يس الفيل بقصائده في كثير من المناسبات التي تقام بمناسبة  
أعياد الاستقلال والحرية ، فيحیی بورسعيد على كفاحها البطولي في أكثر من  
قصيدة بعيد النصر على الحدوان الثلاثي فنقرأ له " ذكراك عاطرة " وقصيدة "   
الصحة الكبرى " وقصيدة بورسعيد " .

وتجواب أحاسيس شاعرنا مع الوحدة العربية بين مصر وسوريا عام  
١٩٥٨ فيكتب قصيدة " قف يا زمان " مشيدا بهذه الوحدة وما سوف تحققه من  
ترابط وأخوة بين أبناء البلدين : (١)

قف يا زمان مسجلا مشيدا      واكتب لنا في صفحاتك نشيدا  
قف يا زمان هنا اللقاء فحينما      وانثر لنا فوق الطريق ورودا  
فلقد توحدت البلاد وأصبحت      نورا - كسالف عهدا - ورعدا

ويربط يس الفيل بين الاتجاه الذاتي وبين أحداث وطنه في قصيدة " بقية  
الحن " ، فبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م يتحدث إلى ولده بأسلوب هاديء بعيدا عن  
الخطابة مبيناً له أننا لن نستكين أو نخضع ولن نهدأ حتى نأخذ بالنار : (٢)

ولدى :

لم تفرغ - بعد - حكايتنا

ما زلنا في قلب النار

وسنبقى أبدا

يا ولدى

يا قبضة نور من كبدى

تتحدى نزع الإعصار

١ - من خارج أسوار الليل ، ص ٤٠

٢ - توكيمات حادة على أنى القديم ص ٧٠ ، ٧١ .

سنظل نزمجر عبر الموج وإن عكس الريح القيار

سنظل على درب الإصرار

قوى تقفو خطو الإصرار

قد يسقط منا ألف صريع

قد يهوى شيخ مطعون

ورضيع لم ينطق أبداً

قد يهوى في الدرب ربيع

لكن .....

حكايًا الأوتار

ما زالت

من جوف النار

ترمى بشواظ لا يرحم

وبألف نشيد تتلظى

تتغنى

تدعو للنار .....

وفي تلك الأثناء كتب يس الفيل عدداً من القصائد الوطنية اختلفت من

ناحية الشكل والأسلوب ، علت فيها النغمة الحماسية والنبرة الخطابية كقصيدة

" نداء المعركة " : (١)

دقت الساعة فانهض للجهاد

بمسح العار .. ويجتث الأعداى

يا سعير النار فى قلب الرماد

يا أخى فى كل شبر من بلادى

وانطلق بركان حقد ثائر

أشعلوا نيرانها ... فلأحتدم

١- أنغلام لم تعترف أبداً ، ص ٩ .

٢- توقيعات حادة على الناي القديم ، ص ٩٩ .

ليس غير النار فى أيماننا      ولهب العزم فيكسو كل وادى  
فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، ولا بد من القضاء على المعتدى وإرجاع  
الحق إلى أهله ، وهذا لا يكون إلا بالاصرار والعزم القوى ، وتوجد هذه النغمة فى  
القصائد التالية " على وهج النار " وإصرار للأبد " و" إرادة المصير " ، ولعل السبب  
فى سيطرة النغمة الحماسية والذيرة الخطابية فى هذه القصائد أنها كتبت بعد  
الهزيمة مباشرة ، ثم بدأت حداثها فى الخفوت رويدا رويدا ، ويتضح هذا فى قصيدة  
" بطاقة عيد لأخ فى الجبهة " و" شهرزاد وحكايا لا تزال " و" الليل وشلال الأمل "  
التي يقول فيها : (٢)

... ولو طالت بنا الأيام  
... ولمتدت بنا الطرق  
... ولو ألتقت بنا الأشواق للمجهول  
... ومزق صفونا الأرق  
سنكتب بالدم المصفوك قصتنا على الجدران  
ونوقد فى الظلام شموعنا أبدا  
ونرفع للظلام يدا  
ورب غد  
بما لم نعترف أبدا  
ونحن نمزق الأكفان  
يعترف

وقد تغير موقف الشاعر السياسى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م ، فحمل  
القيادة العسكرية المسئولية عن الهزيمة ، بعد أن " تهاوى الأمل وانحسر المد وطاح

الطموح ، ووئد التوثب ، وأفاق المصرى على هول الصدمة ، وفضاظة الكارثة»<sup>(١)</sup> .  
فيقول عن زعيم آمن به الشعب فخذله : (٢)

دعواته

إله للعرش

ما عشنا عبدهنا

وصلينا

يا ربى

وصمناه

وأرخصنا له الأرواح

بالغالى فدينا

وسرنا نقطع الأيام

ما عشنا

لذنيا

ولكنا .. فجعنا فيه .

وإذا كانت الهزيمة قد أصابت نفوس كثير من الشعراء بالإحباط ، فإن  
شاعرنا لم يستسلم لليأس ، ولم يهرب ، ولم يفقد الأمل فى تغيير الواقع ، وجاءت  
قصائده فى تلك الفترة تحمل روح التفاؤل والرغبة فى استنهاض الهمم والعزائم  
للكفاح والأخذ بالتأثر: (٣)

إن تسقط

فلتسقط أبدا

١ - د. عبدالله سرور الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٩٩ .

٢ - توقيعات حادة ، ص ٥٢ .

٣ - توقيعات حادة على النأى القديم ، ص ١٢١ .

عبر التيار الزاحف نحو الشمس

أو تركض

فلتلك إعصاراً يتحدى

يتحدى الأمس

ولتتشد فوق رفات العام المهزوم

أغنية تتحدى الليل

ولتزرع حصناً من أمل

في قلب اليأس

ولتعلم :

أن لليوم نقيض الأمس

وعندما انتصر المصريون في أكتوبر ١٩٧٢ م ، وتحقق حلمهم في القضاء

على غطرسة العدو الصهيوني ، يغنى الشاعر لبلايه فرحة النصر: (١)

وحانت لحظة الميلاد ،

حانت لحظة للميلاد كاسحة

ودوى في حنايا الأرض نفخ الصور

وكان للبعث ،

كان للنشر ،

كان هناك من حول القناة نشور ،

وكان لنا على حد الصراط عبور ،

إلى سيناء

فهذه القصيدة تعبر عن مشاعر صادقة ، وتكشف عن قلب مفتون بحب

الوطن ، ومن ثم تتعدد قصائده التي يتغنى فيها بانتصار وطنه ، وتلك الروح نجدها

فى قصيدة " الميلاد فى لحظات الموت " و" أغنية لعالم السلام " و" أغنية ليست لسواك " .

وكما يغنى لسبئاء عند استعادتها ، فيقول فى قصيدة أغنية لسبئاء : (٢)

نح ثوب الخوف عنك - يا سبئاء - واختالى سلاما

وازرى للغد فى واديك نورا واحملى الفجر وساما

ها هو النيل إلى دنياك يخطر ، رافعا للشمس هاما

فارقبه مشربب النفس ، عملاق الرؤى يقود إماما

واتبعيه مؤمنا ، يملك الأيام فرحا وابتساما

ويكره الشاعر الحرب لما فيها من دمار للإنسان ، وقد عايش الآثار السلبية

والمدمرة للحرب ، فرسم صورة صادقة لوحشية الصراع فى سبيل السيطرة على

الشعوب فى قصيدته " من أجل السلام " يقول : (١)

كنت إنسانا

ولكن

مزق الإنسان قلبى

شرد الطغيان أولادى

- عراة فوق دربى -

ورمى أرضى بألاف القنابل

وتحدانى

تحدى أن أقاتل

أيها العالم إنى

أكره الفيران أن تأكل زرى

١- توقعات حادة على النأى القديم ، ص ١٤٤ .

أكره البارود أن يحرق بيتى

أكره القسوة فى كل الصور

ولذلك فهو يدعو إلى السلام ولا يمل من تكرار هذه الدعوة ، ويواصل

النضال من أجل السلام من أجل تحقيق حياة إنسانية نبيلة ، يقول مخاطباً

العالم : (١)

أيها العالم إنى

عشت أيامى أغنى للبشر

وأغنى للسلام

بين أولادى

ولأبراج الحمام

غير أنى

ذات صبح مشرق

أبصرت آلاف القنابل

فوق أبراجى تنوى

هدمتها ،

أحرقت فيها الحمام

أحرقت فى الأرض أغصان السلام

أيها للعالم إنى

حينما أجعل من أرضى قبوراً للطغاه

حينما أصنع من أنقاض بيتى حصن نائر

حينما أنتح صدرى للقنابل

حينما أقذف أولادى فى قلب اللهب

١ - السابق ، ص ١٤٥ .

لتصب النار فى عنف على وجه الظلام  
فأنا أصنع ما أصنع من أجل السلام  
وإيمان يس الفيل بالسلام ينبع من حبه للبشرية جميعا ، فهو يريد أن يعم  
أرجاء الكون ، وشاعرنا فى مطالبته بالسلام ينشد سلام القوة لا سلام  
المستضعفين: (١)

أيها العالم إنى  
لم أعد أحيا على وهم التمنى  
لم أعد أنتظر القطرة من قلب الحجر  
لم أعد أنتظر الكسرة من كف اللصوص  
فالسلم اليوم قوه  
ودماء تتلهب ،  
وسلاح  
السلم اليوم بذل  
وكفاح

وعندما اجتمع حكام العرب على مقاطعة مصر لأنها وقعت اتفاقية سلام  
مع إسرائيل ، هاله ما حدث ، وكتب قصيدة " كلمات الحب إلى وطنى " ينعى فيها  
موقفهم هذا ويخاطب وطنه قائلاً: (٢)

فلا تجزع ، إذا احتجرت مواكبهم بد الوهن  
ولا تأبه ، إذا ما الحقد جمعهم على نخن  
فكم جحدوك نيلا جاد للعطشى بلا ثمن  
وحضنا أمانا يأتيه من باتوا بلا سكن

١ - توقيعات حادة على الناي القديم ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .  
٢ - الميلاد وحكليات الخريف ، ص ١٢٧ .

وقد يقف الشاعر موقفا معارضا لما يستجد من أحداث ، كموقفه من مشروع الخصخصة ، وبيع الدولة مرافق القطاع العام للقطاع الخاص ، فأبان عن موقفه في قصيدة " المزداد " والعنوان فيه من المعانى ما يدل على رؤية الشاعر: (١)

نقبي ما شئت  
تحت الرمل  
آلاف الكنوز  
لم يعد .. ما لا يجوز  
خصخصينا !!  
أودعينا!  
صحوة للموتى ... نشوز ...  
... لا عليك الآن  
من هذى الرموز  
كله بيع  
وأسولق النخاسه  
يستوى فيها  
نقاء الطهر  
ما امتدت له كف التعاسه  
بالنجاسه  
... كل هالات القداسه  
أعرضيها فى المزداد  
كلليها بالسواد  
أعلنى فينا الحداد

١ - همسات الصدى ، ص ٤٢ .

طفلنا - فى المهد- مات  
يا بقايا الأمنيات

هموم عربية :

وينتقل يس الفيل من الذاتى إلى العام ، وينفعل مع الأحداث العربية ويهتز لكل معانى الكفاح والثورة فى سبيل الحرية والاستقلال لكل بلد عربى مؤمناً بوحدة النضال والمصير المشترك ، فيشارك الأقطار العربية أحداثها ، ويكتب العديد من القصائد التى تعبر عن الانفعال بقضايا الأمة العربية .  
فيتغنى بنضال فلسطين وانتفاضتها ضد قوى المستعمر الذى يكيل العذاب ألواناً شتى للأبرياء الذين يدافعون عن أرضهم ، وفى قصيدة " الزحف على حد المستحيل " يعيش بوجدانه هذه التجربة الحية ويأتى بصور تظهر بشاعة الاستعمار: (١)

شاخت الغربان

وانقضت على الغدر البلايل

أحرق الغيظ السلاسل

والعصافير استماتت

لم تخف عصف القنابل

ربما يسأل سائل

كيف ؟

من أين؟

لماذا ؟

ومتى ؟

١ - الزحف على حد المستحيل ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

كانت على الأرض العصافير تقاثل

لسألوا للقضبان

كيف امتصت للعمر المناضل

اسألوا الأرض التي كم اتخمت بالدم

والزرع المضرع

لسألوا حد المناجل

فالعصافير في هذه القصيدة رمز لأطفال فلسطين ، وكانهم تحولوا إلى طير  
أبائيل ترجم رأس العدو وتفل قواه ، ويستدعي الشاعر شخصية أبرهة ليصور من  
خلالها تلغيان الاستعمار ، ويوميء عن طريق الشخصية المستدعاة نهاية هذا  
التلغيان : (١)

يا عصافير مئاره

جمعوا الألام

صبوها لهيباً في المراجل

لم يعد أبرهة يبرم أمرا

الأبائيل التي انقضت

ومدت لُف منقار إليه

أذهلته

وأطارت عالماً كم عاش ينمو في يديه

وقد نالت فلسطين اهتماماً كبيراً من الشعراء في العصر الحديث لخطورة  
قضيتها وأهميتها ، ونتج عن اهتمام شاعرنا بهذه القضية عدد من القصائد شارك  
بها هذا الشعب العربي أشجانه ومآسيه ، وقد شاعت في هذه القصائد روح

١- الزحف على حد المسحيل ، ص ٦٥ .

النضال والثورة كقصيدة " الكلمة واللهب المسعور " و"مرثية إنسان لم يمّت "  
و" الأطفال والحجارة " .

ولا يغيب بصر الشاعر عن البلاد العربية الأخرى ، فنراه يستنهض همم  
العراقيين على نظام الحكم الفاسد : (١)

فلم الخضوع أحبتي - هيا انزعوا نوري السعيد والبسوه قيودا  
وتسموا ريح السلام بأرضكم فلقد أتمنا ركنه المنشودا

وعندما تقوم الثورة العراقية عام ١٩٥٨ م يسترجع يس الفيل تاريخ العرب  
في العصر الحديث أيام الحرب العالمية الأولى حينما تحالف الشريف حسين مع  
الانجليز، ومنحوا ابنه فيصل عرش سوريا ، فلما أخرجته فرنسا منحها الانجليز  
عرش العراق : (٢)

هبت تحاسب من أباح دماءها ومشى بها بين الكؤوس معريدا  
أودت بحلف زينوه بفيصل فاندك صرح للغواية شيديا  
أو ما أرى هذا الحسين نهاية حلت بملك في العراق تبديدا ؟  
أو ما أرى عبد الإله وظله أو ما رأى نوري وكيف تصيدا

وعندما اعتدت تركيا التي كانت تساندها انجلترا وفرنسا وأمريكا على  
سوريا عام ١٩٥٧ ، يخاطب الشعب السوري قائلاً : (٣)

قل لهم إني أنا العملاق في سوريا أقوم  
قد نفضت النوم عن عيني ومزقت الغيوم  
إنني الجبار أحميها هضابا أو نخوم

١- من خارج أسوار الليل ، ص ٤٠ .

٢- السابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

٣- من خارج أسوار الليل ، ص ٦٠ .

كل من يبغى هلاكى سوف أسقيه السموم  
فهو متابع لأحداث وطنه العربى فى مواجهته وتحديه للاستعمار ويعد  
وجوده فى أى مكان من الوطن كلاً لا يتجزأ وتلزم مجابته.  
ثم يتابع باهتمام قضايا وطنه بعيداً عن حركات التحرر، فيهتم بقيام  
اتحاد الإمارات العربية ويحى هذا العمل ومن قام به : (١)

حلم وطال ... ألا ما كان أطييه      لما تحقق بالشيخ الذى صمدا  
وأمنيات كضرب المستحيل غدت      طوع اللبان لشعب هب فاتحدا  
ودوحة من رياض الخلد تحرسها      عين السماء وترعى غرسها أبدا  
ويكتب بمناسبة استقلال قطر وقبولها عضواً بالجامعة العربية قصيدة  
" قطر بين الوحدة والاستقلال " .

ويس الغيل يقف من الظلم والاعتداء على الغير موقف الرفض والاستنكار  
فيرفض ظلم الإنسان لأخيه الإنسان فى أى زمان ومكان وعندما يكون الاعتداء من  
دولة عربية شقيقة على دولة عربية أخرى فإنه يكون أشد وأقسى .

فعندما اجتاح الجيش العراقى فى الثانى من شهر أغسطس عام ١٩٩٠م  
دولة الكويت يقف فى وجه الغدر ويقول : (٢)

ما أسوأ الجار إن جارت يداه على      حق الجوار ولم يردعه إيمان  
ولم يدع حرمة إلا أطاح بها      كأنما هو فوق الأرض شيطان  
واجتثت - غدا - بقايا الحب فى زمن      لم يبق فيه لهذا الحب سلطان

١ - حصاد الأمل ، ص ٣٩ .  
٢ - الأبحار على سفن اليقين ، ص ٢٦ .

ثم يحزن للأخوة العربية التي تشتتت ، وللوطن العربي الذي تشرذم : (١)  
أه على أخوة أه على وطن مد القيود له فى الليل سجان  
ويشير إلى الصراع العربى العربى ويستنكر ما يحدث بين الأشقاء من  
اقتتال ، ولعل استخدامه لشخصية شهريار أحد أبطال قصة ألف ليلة وليلة الذى  
اشتهر بسفك الدماء ما يعبر عن رؤية يس الفيل لأحد الحكام العرب الذى لا يمل  
سفك الدماء : (٢)

ويا شهريار  
هو الشيق المستبد ازدهاك  
أم الحقد ،  
- لم يبرأ الجرح منه -  
أم الانتحار ؟  
تعيد المشانق للأبرياء  
على الأرض يهدر سيل الدماء  
ومع تقدم الشاعر فى العمر، تزداد رؤيته السياسية نضوجاً ، ووعيه شمولاً  
فيرى أن الدول الاستعمارية تلجأ إلى إسكات العرب بالوعود والاتفاقيات ، وما  
أكثر ما وعدوا وأخلفوا .  
ويسوق رؤيته هذه فى قصيدة " كبرياء الحرمان " عندما وقعت اتفاقية غزة  
أريحا بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة ، فيقول محذراً  
الفلسطينيين من التوقيع على هذه الاتفاقية : (٣)

١ - السابق ، ص ٢٧ .  
٢ - أغنية بلا وطن ، ص ٧٨ .  
٣ - على صدا الذكريات ، ص ٢١ .

يا عابر السبيل  
تحسس الطريق  
لا تغامر  
إياك أن تقامر  
أو تتسف المعابر  
فما تراه.....  
إن يكن سراب  
يقود للعذاب  
أو كانت البوادي  
بداية البدايه  
في رحلة العناد  
فقد تعود مكرها  
إلى عنائك القديم  
متشحا بألف كبرياء  
فأنت لم تزل  
وما تزال وجبة  
أو نصف وجبة  
في كل عام  
خير من الطعام  
ألف مرة  
على موائد اللثام.

ثم يهيب الشاعر بالعرب ألا ينقادوا لدول الغرب ، ولا ينخدعوا بأمانيتهم  
الكاذبة ، ولا ينساقوا وراء وعودهم الخادعة ، وكان الخلاص بأيديهم وحدهم ، فيشير  
إلى الواقع المرير الذى يحسه والذى يود تغييره بما يملكه من قوة الكلمة : (١)

سلاسل البيض نودعها مفارخنا

وفيهما بيضة الثعبان

رؤانا لم تميز - بعد -

بين العدو فى التيه المحنط

والتردى فى مدى للقرصان

ويا زمنا ... أضل بصائرا ؟

أعمى عيوننا ، لم نزل تبكى على ما كان

متى تصحو ؟ وتفتح هذه الأجفان ؟

متى تجتاز فى زمن الغياب غيابنا ؟

ومتى تغادر بالذين استنزفوك مراتئ الهزيان .

هموم إسلامية :

نخطت رؤية يس الفيل الشعورية حدود الوطن العربى إلى مشارف الوطن  
الإنسانى الرحب ، متضامناً مع الأقلية المسلمة فى سرايفو ، ناعياً على الغرب  
الجائر ويوغوسلافيا الباغية هذا العدوان المسلح ، كما يتحسر على حال الأمة  
الإسلامية وتفرقتها وتشتتها ، ويلومها على استكانتها وتخاذلها عن نصره الشعوب  
المسلمة ، وينعى على المسلمين إقبالهم على اللهو وتفككهم ، ويرجع أسباب ذلك إلى  
بجدهم عن الدين وعدم تأسيهم بالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (٢)

١ - الإبحار على سفن اليقين ، ص ٦٣ .

٢ - الأمل مطر الفصول الأربعة ، ص ١ .

تكاد منك جراح القلب تلتهب  
إلى متى أنت فى لهو وفى سفه  
أوصالك الآن حيرى ليس تمنعها  
أنت أنت... وفى الصومال مذبحه  
أواه يا سراييفو... والأسى كتل  
مجازر الأمس عادت من لنا بيد  
ومن يجير سراييفو .. وقد سقطت  
وهكذا نرى أن الشعر الوطنى عند يس الفيل قد واكب الاتجاهات الوطنية  
فى عصره ، حيث عاش الأحداث التى مرت بها البلاد وانفعل بقضايا التحرر فى  
وطنه الصغير مصر وفى وطنه الكبير وأمه الإسلامية ، ولم يكن الشعر الوطنى عنده  
تسجيلاً تاريخياً فحسب ، وإنما نحس فيه بصدق التجربة وحرارة الانفعال  
وقد اتضح أيضاً أن شعره فى هذا الغرض التقت فيه النزعتان الرومانتيكية  
والواقعية بصورة واضحة . فنجد الأولى فى تغنيه للوطن وحبه له ورؤيته له فى  
صورة مثالية ، ونجد الثانية فيما ذكره عن سلبيات مجتمعه ، وما ذكره عن الفلاح  
ومعاناته . ولم يمنعه حبه لوطنه أن يشير إلى المثالب والعيوب.

وشعر يس الفيل فى الوطن تفاوت من حيث المباشرة والرمز ، فهناك  
قصائد توجه فيها الخطاب مباشرة إلى الوطن ، وقصائد ، أخرى امتزجت صورة  
الوطن بصورة المرأة.

وقد امتزج عنده كذلك الذاتى بالعام ، فربط بين همومه الخاصة وبين  
هموم الوطن ولم ينكفى على ذاته يتغنى بالامة وآماله بعيدا عن قضايا الوطن  
فكان الشعر الوطنى محورا بارزا فى قصائده كما رأينا ، بل هو أهم المحاور التى  
دار حولها شعره على الإطلاق .